الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمـــي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كليـــــة الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

رقم التسجيل: M20085094921

M20075097454

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب جزائري

بعنوان:

جماليات المقال الاصلاحي عند الشيخ البشير الابراهيمي
(الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر) أنموذجـــا

إعداد الطالبان:

- ضمبري جمال
- بلطرش هشام

أمام لجنة المناقشـــة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الجامعة	الصفة
د. علي بعداش	جامعة المسيلـة	رئيســـــــا
د. باسطال باســـم	جامعة المسيلـة	مشرفا ومقررا
د. عبد العزيز العايب	جامعة المسيلـة	ممتحنـــــا

السنة الجامعية: 2019-2020

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى: "... لئن شكرتم لأزيدنكم" سورة ابراهيم الآية 7.

وقال صلى الله عليه وسلم: " من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

رواه الترميذي

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نحمد الله حمدا كثيرا ونشكره شكرا جزيلا لأنه سهل لنا المبتغى وأعاننا على إنجاز هذا العمل المتواضع فله الحمد والشكر.

بأكاليل من الاحترام والشكر وأهازيج من العرفان أتقدم بها إلى الأستاذ

المشرف الدكتور باسطال باسم لما قدمه لنا من توجيهات

ونصائح قيمة فنثنى

له دوام الصحة والعافية والمزيد من النجاحات.

وإلى كل اساتذة كلية الآداب واللغات.

اهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى :

أبي العزيز

أمي الغالية

أطال الله في عمرها ومتعني ببرهما

إلى إخوتي وأخواتي

إلى جميع الأصدقاء

إلى جميع الأصدقاء وزملاء الدراسة

جمال * هشام**

الخطة:

مقدمة

الفصل التمهيدي: قراءة في المصطلحات المفتاحية

تعريف المقال لغة واصطلاحا

1- لغة

2- اصطلاحا

مفهوم الاصلاح

الاصلاح لغة

الاصلاح اصطلاحا

حياة الإبراهيمي

ونشأته

مولده

اثاره

مجالات الاصلاح عند البشير الإبراهيمي

مؤلفاته

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لمقالة الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر

1. **الايحاء القرآني**
2. **الفكر العقلاني**
3. **العمق المعرفي**
4. **السياق التاريخي**
5. **- محاكاة التراث العربي**
6. **- الإبداع البياني**

خاتمـــة

مقدمـــــــة

مقدمة:

تعد مرحلة الاستعمار الفرنسي للجزائر من أبشع وأقبح أنواع الاستعمار في العصر الحديث، فقد كان هذا الاستعمار بمثابة المدمر والمهلك لكل مقومات الشخصية الوطنية، فقد واجهت أمتنا الإسلامية الجزائرية تحديات جمة وكثيرة استهدفت هويتها وحضارتها وكذا كرامتها وثرواتها.

لدا كان المقال الإصلاحي ذو قيمة كبيرة في إحياء الهمم والنفوس لدى أفراد الشعب الجزائري خصوصا بعدما تجرع الويلات الحروب والآفات الاجتماعية من فقر وبدع وغير ذلك من تبعات الاستعمار.

فقد كان السبيل الأمثل لذي اتبعه المفكرون والعلماء لإعادة الهوية الوطنية وإقامة المجتمع المسلم.

ويعد التاريخ العربي والإسلامي زاخرا بهذا النوع من المقال الذي يصبوا إلى التغيير والإصلاح وكذا التجديد وبالأخص علماء جمعية المسلمين الجزائريين التي اتخذت من المقال الإصلاحي سبيلا ومنهجا لمحاربة الاستعمار وتبعاته، ومن أجل التحرر وإنارة العقول بالعلم والدين والأدب.

ومن ثم فإن دراسة المقال الإصلاحي لأحد أعلام هذه الجمعية المتضمن قضايا الدين والدنيا أمرا ملحا، يكتسب ضرورته من أهمية التعرف على الفكر الإصلاحي الجزائري الذي استطاع احداث تحولات فكرية واجتماعية أدت إلى تغيرات سياسية في حياة الجزائريين ودولتهم، الذي يهدف إلى نفخ روح العقيدة الإسلامية وبعث الحركة الإصلاحية والعمل على تطبيقها في الحياة اليومية والنهوض بجزائر حديثة وجديدة دينها الإسلام ولغتها العربية.

إنّ المتتبع لجهود البشير الإبراهيمي تتجلّى له حقيقة مفادها أنّه لم يبرز فقط في ميدان الإصلاح والمقاومة، وإنّما ساهم كذلك في إثراء الحياة الأدبية في الجزائر، عن طريق العديد من الآثار التي خلّفها وراءه في شتى المجالات.

ففي الميدان اللّغوي لم يكتف بالحرص على تعليم النشء اللّغة العربية، والعمل على أن تأخذ مكانتها الشّرعية في المجتمع الجزائري كلغة أمّ، وإنّما خصّها كذلك بالعديد من الدّراسات، تتمحور موضوعاتها حول قضايا لغة القرآن، في مستوياتها الأساسية كالمستوى الصّوتي الذي تناوله من خلال رسالة تطرّق فيها إلى مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعاميّة، إضافة إلى المستوى الصّرفي حيث تعرّض للأوزان والضمائر والأبنية، فوضع كتاب "أسرار الضمائر في العربية" وكتاب "نظام العربيّة في موازين كلماتها" وكتاب "الصّفات التي جاءت على وزن فَعَلَ" وكتاب "النُّقايات والنُّفايات في لغة العرب"[1].

وعدا المجال اللّغوي، أثرى البشير الإبراهيمي ميدان التأليف بالكثير من المصنّفات، أشهرها رسالة الضّب التي نزع فيها منزع الجاحظ في كتابه "الحيوان"، فقد عرض لنا حقائق علمية عن هذا الحيوان، كاشفا فصيلته وصفاته وحضوره في حضارات الأمم، مبيّنا إشارة العرب إليه في أمثالهم وأشعارهم.[2]

ولم يقتصر باع الشيخ على التأليف وإعداد الأبحاث والدّراسات، وإنّما راح يبدع في بعض الفنون الأدبية كالرّواية التي أبدع فيها نصًّا سمّاه "كاهنة الأوراس"، والمسرحية التي وضع فيها نصًّا عنوانه "رواية الثلاثة"، وهي عمل مسرحي شعري، يقع في ثمانمائة وواحد وثمانين بيتا، أعدّه وهو في منفاه بمدينة آفلو[3]، وهذه الرّواية، تكشف مقدرة البشير الإبراهيمي على قرض الشّعر، فقد نظّم أرجوزة سمّاها "ملحمة"، وهي تقع في ستة وثلاثين ألف بيت،

[1] محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، (وهران، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د ت)، ص 70-71.

[2] المرجع نفسه، ص 72.

[3] مج من الكتاب، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، (شركة دار الأمّة، ط 2، 2007)، ص237.

وذات مواضيع متعدّدة، يتّصل بعضها بتاريخ الإسلام والبعض الآخر بمشاكل المجتمع الجزائري.[1]

وهذه الأعمال الأدبية تؤكد عمق ثقافة صاحبها، وأصالة فكره، المصقول بالثقافة العربية الإسلامية ولذلك نجدها ترسخ انتماءه إلى العروبة وتثبت انصهاره في قوميته.

والواقع أنّ ثقافة الإبراهيمي تلك، تقوم على تنوع المعارف وتعدّدها، فقد أقبل على ينابيع التراث العربي في عصوره المختلفة، حيث حفظ دواوين شعرية لفحول الشّعراء الجاهليين والإسلاميين، كما أحصى ألوانا من فنون النثر من خطب ومقامات وحكم وأمثال، الأمر الذي أعانه على اكتساب لغة ناصعة البيان، ترقى في أساليبها إلى اللّغة العربيّة في أزهى عصورها وأنقى فصاحتها وأفتن جمالها، وهذا ما نلمسه في ذلك العدد الهائل من الخطب التي كان يلقيها في مناسبات كثيرة، والمقالات التي دجّج بها مختلف الجرائد الوطنية والعربيّة، فضلا عن الرّسائل التي خصّ بها بعض رفاقه وخلاّنه.

وما من ريب في كون هذه النّصوص النّثرية التي حبّرها البشير الإبراهيمي في فنون الخطابة والمقالة والرّسالة، تجسّد دوره الفعّال في إرساء أسس النّثر الفنّي في الجزائر من خلال توظيفه للأساليب الراقية، ذات اللّغة الجزلة والصّور المشحونة بالدّلالات والإيحاءات، فشكلت كتاباته نموذجا راقيا للبيان العربي في صوره المشرقة[2]، ممّا دفع ببعض الدّارسين إلى الحديث عن خاصّية فنّية، يصطلح عليها بالأدبيّة.

[1] محمد الطّاهر فضلاء، الإمام الرّائد: محمد البشير الإبراهيمي، (قسنطينة، مطبعة البعث، 1967)، ص 166.

[2] إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص، (منشورات الاختلاف، ط1 ، 2010)، ص 220.

ولقد كانت لنا عدة أسباب ودوافع لاختيار هذا الموضوع لمذكرتنا هذه نذكر منها:

- اهمية المقالة كجنس أدبي له تأثير كبير في نفوس القراء.
- تسليط الضوء على الأدب الجزائري
- ابراز دور علماء جمعية العلماء الجزائريين في الدعوة للعلم والإصلاح
- ثر وقيمة الشيخ البشير الإبراهيمي باعتباره أديب متألف وشخصية بارزة في الأدب الجزائري.
- دراسة ادبنا الجزائري لأننا وحدنا من يستطيع الارتقاء به ونشره للعالم.

ولقد انطلقنا من الإشكالية التالية:

- **أين تكمن الجمالية في مقالات الشيخ البشير الابراهيمي؟**
- **ماهي اهم المرتكزات التي يعتمد عليها الابراهيمي في كتاباته؟**
- **كيف يبرز الإبراهيمي ثروته اللغوية والثقافية والدينية في مقالاته؟**

وللإلمام ومحاولة الإجابة على هذه الإشكالية وضعنا الخطة ذات شقين (نظري وتطبيقي):

1. **فصل نظري:** تناولنا فيه ضبط للمصطلحات المفاهيمية.

- تعريف المقال لغة واصطلاحا.
- مفهوم الاصلاح لغة واصطلاحا.
- حياة الابراهيمي

- نشأته.
- مولده.
- آثاره
- مجالات الاصلاح عنده.
- مؤلفاته.

2. **فصل تطبيقي:** دراسة تطبيقية لمقالة الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر

- الايحاء القرآني.
- الفكر العقلاني.
- العمق المعرفي.
- السياق التاريخي.
- محاكاة التراث العربي.
- الابداع البياني.

معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي موظفين بذلك آلية التحليل والاستقراء.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات أثناء البحث همها:

- وباء كورونا تسبب في غلق المرافق العمومية وتوقف حركة النقل.
- تشعب الموضوع وصعوبة الإلمام به.
- تكرار المعلومات بنفس الطريقة في العديد من الكتب والمراجع مما جعل إثراء المادة العلمية صعب.

الفصل التمهيدي

قراءة للمصطلحات المفتاحية

تعريف المقال لغة واصطلاحا

1- لغة:

تعد المقالة من الفنون النثرية الحديثة التي عملت الصحافة العربية على ترقيتها، وهي من المهام التي فض بها رجال الفكر الإصلاحي الذين تأثروا بالثقافة العربية، وبتراثها العريق وبنهضتها الحديثة في شتى الميادين الثقافية والأدبية والفكرية، فهي مجال للتعبير عن العواطف والأحاسيس والأفكار التي يختلجها في نفسه.

والمقالة لغة: المقال والمقالة والقول، كما جاء في المعاجم القديمة؛ مصدر قال، والقول، والكلام هو لفظ ينطق به اللسان تاما أو ناقصا.

وفي لسان العرب: قال يقول قولا وقبلا، ومقالة. يقول الحطيئة مخاطبا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب:

تحن على هذا الملـــــي فإن لكل مقام مقالا

وقيل القول في الخير والشر، والقال والقيل في الشر خاصة.[1]

ويقول: قولا وقالا وقيلا وقولة ومقالة ومقالا.[2]

وفي القرآن الكريم وردت لفظة "القول" دالة على: الكلام وذلك في قوله تعالى: "وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد".[3]

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج 11، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط2، 1419هـ - 1999م، ص: 350-351.

[2] بطرس البستاني، محيط المحيط، (د.ط)، مادة (ق-و-م)، ص: 763.

[3] سورة ق، الآية 18.

والمقال: «قال يقول قولا وقيلا وقولة ومقالا ومقالة».[1]

ولفظ قال، وقالوا وقالت كثير في القرآن الكريم، كما جاءت بمعنى الكلام.

والتعريف اللغوي للمقال يضع أيدينا على نقاط القوة والخطورة والدور الكبير والمؤثر لفن المقال وكاتبه، وهذا ما يبينه لنا استعراض ما جاء عن مادة "قال" في القاموس الوسيط الذي جاء فيه «قال قولا ومقالا ومقالة :

تكلم، أي أنها تدل على الكلام والكلام هو وسيلة لنقل الأفكار، ومن يملك هذه القدرة فهو قائل وجمع قائل: قالة. ويستعمل القول مجازا للدلالة على الحال، مثل: وقالت له العينان: سمعا وطاعة. وقال له: خاطبه، وقال عنه:

أخبر، وقال فيه: اجتهد وأقوله: ادعى عليه. والقال : إيقاع الخصومة بين الناس.[2]

نستشف من هذه المعاني كلها أن القول هو الكلام والرأي والمذهب وهو اللفظ المنطوق باللسان سواء كان في الخير أو في الشر.

والمقال بحث قصير في العلم أو الأدب أو السياسة أو الاجتماع ينشر في صحيفة أو محلة».[3]

[1] ان منظور، لسان العرب المحيط، محند الخامس، دار الجيل، بيروت، 1423هـ 1988م، مادة (ق، و، ل)، ص: 189.

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط3، 1405هـ -1985م، ص:797.

[3] المصدر نفسه، ص: 797.

2- اصطلاحا:

أما اصطلاحا «فقد جاء في المعجم الأدبي: «مقال، مقالة، وهي بحث موجز يتناول بالعرض والتحليل قضية من القضايا، أو جانبا منها».[1]

والمقال هو «أحد فنون النثر الحديث، وهو قالب أو شكل فني يستخدمه الكاتب في عرض فكرة ما أو موضوع معين بطريقة مترابطة وأسلوب متميز يمتع القارئ ويحقق له فوائد فكرية وثقافية ويربطه بواقعه ومجتمعه، وما يمر به من أحداث يومية، بل ويربطه كذلك بالأحداث العالمية ...»[2]. وهو عبارة عن بحث في سطور أو صفحات معدودة شاعت كتابته بعد انتشار الجرائد والمجلات. ويتميز هذا المقال بالتركيز على المعنى، وبوضوح العرض، والانتهاء في معظم الأحيان إلى محصلات بارزة ترسخ في أذهان القراء، وقد تأثر هذا الفن من الكتابة بالأساليب الأجنبية، لأن فن الصحافة العربية كان في منطلقه تقليدا أمينا للصحافة الغربية».[3]

وتعرف المقالة أيضا على أنها: «قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع تكتب بأسلوب خالي من الكلفة، شرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب، معالجة لفكرة أو رأي بغية التوضيح وذلك بلغة جيدة وقد تحتوي شيئا من الخيال والعاطفة بقصد الإثارة وهي إلى ذلك لا ضابط لنهجها أو سياقها، وينبغي أن تكون مشوقة وأهم ما

[1] عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ، ط1، 1979م، ط2، (يناير) 1984م، ص: 260.

[2] فوزي عيسى، دراسات في الأدب الحديث، دار المعرفة الجامعية، طبع نشر توزيع 2010، ص: 94.

[3] عبد النور جبور، المعجم الأدبي، ص: 260.

فيها أنها انعكاس وجداني لشخصية كاتبها، بما فيها من طلاوة ورشاقة، وعفوية وبعد عن التكلف والصنعة».[1]

« المقالة في الأساس تقوم على الذاتية والتجربة الشخصية، وتتكون مادها مما يلم بالكاتب من عوامل الحزن والفرح». [2]

فمن هذا وذاك نفهم أن المقالة في معناها المبسط هي فن نثري يعرض فيه الكاتب قضية من القضايا، أو فكرة ما بطريقة منظمة وأسلوب مميز ومشوق وألفاظ سهلة يفهمها القارئ لا يجد فيها كلفة ولا تعقيد، موضوعها هادف ومختصر لا يتجاوز في أقصى حالاته بضع صفحات ولا يقتصر على موضوع معين، فللكاتب أن يعرض فيه أي فكرة سواء أكان موضوعها دينيا أو اجتماعيا أو سياسي أو تاريخي أو نقدي وغيرها من الموضوعات التي تتصل مجالات الحياة المختلفة.

مفهوم الاصلاح:

الاصلاح لغة: جاء في قاموس تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي، أن الاصلاح ضد الفساد، و من فعل (صلح) بفتح اللام، و(صلح) بضم اللام، والصالح هو الجابر لأموره وأعماله، وصلح الشيء ضد أفسده، أي أقامه وعدله وسواه بعد أن كان فاسدا، ومن المحاز أصلح اليه أي أحسن اليه، وأصلح الدابة: إذا أحسن اليها فصلحت وصارت صالحة للاستعمال، وأصلح الشيء أي تعهده وتولى أمر اصلاحه، والصلح

[1] أنطونيوس بطرس،الأدب تعريفه – أنواعه – مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس–لبنان، ط1، 2013م، ص:140.

[2] داود غطاشة الشوابكة، مصطفى محمد الفار، دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية، دار الفكر، عمان، ط2، 1431هـ 2010م، ص: 145.

بضم الصاد أي التسوية بين الأطراف المختلفة بالتسوية والصلح، والصلاح والاصلاح من الصلح، معن كل ما هو ضد الفساد .

ومن خلال هذه المقاربة اللغوية يتحدد لنا مفهوم الاصلاح أو الصلاح، فهو : الجبر، التسوية، الاقامة، والتعهد بإصلاح ما تم افساده، وتركه، واهماله من الأمور والمخلوقات والموجودات.[1]

الاصلاح اصطلاحا: ورد لفظ الاصلاح أو أحد مشتقاته في القرآن الكريم مائة وثلاثا وسبعين مرة منها مايلي:

1. ان لفظ الإصلاح أو أحد مشتقاته جاء دالا على رفض الفساد و نقيضا له: " وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ".[2]

2. ورد مقترنا بالإيمان والكفر: " وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ".[3]

3. جاء مقترنا بالعطاء والخير: " لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ".[4]

---

[1] أحمد عيساوي، الفكر الاصلاحي عند الشيخ العربي التبسي، اشغال الملتقى الوطني الرابع للفكر الاصلاحي في الجزائر، ج. 1، الجمعية الثقافية العربي التبسي، ص ص: 44 – 45 .

[2] الآية 56، سورة الأعراف

[3] الآية 48، سورة الأنعام

[4] الآية 114، سورة النساء

4. جاء مقترنا ودالا على النماذج البشرية: " وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " .[1]

5. جاء مقترنا بالبطش والانتقام الرباني الشديد: "فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ* وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ".[2]

6. جاء مقترنا بالثواب والجزاء: "مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ "[3]

7. جاء مقترنا بالرحمة: " وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ".[4]

وانطلاقا من هذه الآيات القرآنية يعتبر الاصلاح تراكم سلوكات انسانية حضارية في جوهر الفرد المصلح، كما أنه عملية تغييرية تهدف إلى إحداث تغيير جذري في واقع المجتمع الذي يحتاج للإصلاح في جميع مناحيه، الأخلاقي الديني، التربوي التعليمي، السلوكي الاجتماعي، والمادي العمراني...، وذلك وفق برنامج يهدف إلى تحقيق الغايات المرجوة عبر مرحلة زمنية، بأساليب ومناهج و وسائل حضارية تتفاعل فيه الجهة المصلحة والمجتمع الذي هو بحاجة للإصلاح، بحيث يكون التغيير نحو واقع جديد.[5]

---

[1] الآية 168، سورة الأعراف

[2] الآية 117، سورة هود .

[3] الآية 97، سورة النحل .

[4] الآية 75، الأنبياء .

[5] أحمد عيساوي، الفكر الاصلاحي، مرجع سابق، ص ص: 54 – 55 .

وقد عرف مبارك الميلي[1] الاصلاح قائلا: " نبذ الفسائد من العقائد والعوائد، وارشاد ما هو صالح منها يؤخذ، وغايته ترقية المجتمع في سلم السعادتين الدنيوية والأخروية "، وبذلك فالإصلاح في تفكير مبارك الميلي هو ترك كل ما يفسد على الانسان المسلم خاصة، وعلى المجتمع الاسلامي عامة من عقائد وعادات دخيلة، وبذل الجهد في انتقاء كل ما هو صالح، والهدف من ذلك هو تحقيق السعاة في الدنيا والآخرة، كما أن الإصلاح في نظر الميلي هو المجتمع في جميع مناحيه الاجتماعية، الدينية، العلمية، الاقتصادية، والسياسية، والمؤهل الأنسب في هذه العملية الإصلاحية هم مجموعة العلماء و المرشدين الأكفاء .

[1] مصلح و مؤرخ جزائري حديث، حاول كتابة تاريخ الجزائر على أساس وطني، ظهر الجزء الأول من كتابه (تاريخ الجزائر في القديم و الحديث) سنة 1928 ، وباعتباره عضوا في جمعية العلماء المسلمين فقد ركز في كتاباته على فكرتي الاصلاح والوطنية .

حياة الإبراهيمي:

محمد البشير الإبراهيمي شخصية فذة تألق نجمها في سماء العالمين العربي والإسلامي شغلت عقول أهل الذكر والأدب لما لها من حضور فاعل على مستويات كثيرة، وإن بعض الشخصيات العظيمة قد تبلغ من العظمة والتوفيق الرباني حدا يجعل اسمها في أحاديث كثيرة مرتبطا باسم بلدها فيكون عنوانا له ودليلا عليه، فإن ذكرت الشخصية قفزت الأذهان إلى بلدها وتذكرتها والعكس فأمثال البشير الإبراهيمي إذ ذكروا ذكرت الجزائر لأنهم أفنوا دواتهم في خدمتها وحرموا أنفسهم في سبيلها.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يوم الخميس في الرابع عشر من شوال 1307هـ الموافق ل 13 جوان 1889 بأولاد ابراهيم برأس الوادي بولاية سطيف في الشرق الجزائري وهدا لقوله: سمعت ذلك عن عمي الأتي ذكره وقرأته بخط جدي الأدني على ظهر كتاب من كتبه، سجل فيها مواليد الأسرة ووفياتها، وفيها مواليد أخواتي ولدت قبلي، ولم يعش لوالدي من الذكور غيري.[1]

بدأ حفظ القرآن الكريم في سن الثالثة من عمره بإشراف من عمه محمد الملكي الإبراهيمي رحمه الله ودرس بعض المتون في اللغة والفقه حيث كان عمه فريد عصره في اللسان العربي وحامل لواء "الفنون من نحوها وصرفها واشتقاقها ولغتها.

نشأ في بيت عريق تخرج منه أفداد في الدين والعروبة كما وهبه الله سبحانه ذاكرة عجيبة.[2]

[1] ابو قاسم سعد الله، في قلب المعركة، شركة الأمة، الجزائر ط1، 1994، ص 89-90.

[2] محمد عباس البشير الإبراهيمي أديب ص 32

وفي السابعة من عمره تولى عمه تعليمه وتربيته فكان لا يفارقه حتى ساعات النوم فاعتمد له نظاما خاصا في كل شيء فحفظ معه فنون العلم والقرآن الكريم الذي أتمه في التاسعة من عمره وحفظ ألفية ابن مالك وألفية ابن عطي الزواوي وكافية ابن مالك وهي منظومة تفوق ألف بيت وحفظ أيضا ألفيتي الحافظ جلال الدين السيوطي الأولى في علم مصطلح الحديث والثانية في السيرة النبوية كما حفظ المنظومة المشهورة بالعاصمة وهي في علم القضاء وأبياتها تتلف عن 1700 بيت ثم خلف عمه في إلقاء الدروس على تلاميذه .

تابع تعليمه في المدينة المنورة حيث رحل مع والده إلى المدينة فرارا من الاستعمار، ثم انتقل إلى دمشق ثم عاد إلى الجزائر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية[1]، حيث تعرف هناك على الشيخ عبد الحميد ابن باديس سنة 1912م، غادر إلى دمشق 1916م عمل بالتدريس ثم غادر دمشق إلى الجزائر.[2]

فاستقر به المقام فاشتغل بالتجارة والتدريس وأسس مع الشيخ عبد الحميد ابن باديس جمعية العلماء المسلمين حيث كانت غايتهم المحافظة على كيان ومكانة الأمة الجزائرية، "حيث كانت مهمته في نشر الإصلاح في الغرب الجزائري فعقد الإبراهيمي الندوات العلمية للطلبة، وقام بإلقاء المحاضرات القيمة على العديد من الجماهير ونظم دروس الوعظ والإرشاد ، قام بفتح مدرسة صغيرة لتعليم الشباب الخطابة والكتابة، وكل دلك فعله مع حرصه الشديد وحذره الدائم من بطش وظلم الحكومة الاستعمارية.

وفي 1939م كتب مقاه في جريدة الإصلاح فنفته فرنسا إلى بلدية آفلو الصحراوية، وبعد وفاة ابن باديس انتخب رئيسا للجمعية وهو لا يزال في المنفى سنة ثم أطلق سراحه

[1] المرجع السابق، ص 32.

[2] عبد الغني ابن محمد، أتعرف على الشيخ البشير الإبراهيمي ابن باديس ورفاقه، ورواد الإسلام ص 19.

ثم اعتقل مره أخرى 1945م وأفرج عنه 1947م، وعادت مجلة البصائر للصدور وكانت مقالات الإبراهيمي فيها في الفروة العليا .[1]

اثاره:

الإمام الإبراهيمي أديب ذو إطلاع واسع وشامل على الأدب العربي ذلك بعلمه بمفردات اللغة وشواهدها من الكتاب والسنة وأمثال العرب وأشعار الجاهلية والإسلام و ذو قدرة خارقة على الإبداع واستعمال غير مألوف في خطبه وكتاباته وأشعاره، فبالرغم من كل هذا فإن الإبراهيمي ترك لنا أثرا تحتوي على مخطوطات لم تعرف طريقها إلى الطبع وعديد من الأبحاث والمقالات صناع أكثر أثناء الثورة التحريرية وهو يقول :لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة ومع هده الجهود التي تأكل الأعمار أكلا ولكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجلا التحرير عقوله عميدا لتحرير أجساده وصححت له دينه ولغته، فأصبح مسلما عربيا .[2]

فمن أثاره الفكرية المطبوعة عيون البصائر هو الكتاب الذي طبع في حياته بعد الاستقلال وكانت الطبعة بالقاهرة سنة 1963 م وطبع مرة أخرى في الجزائر سنة 1971 م في مجلد من طرف الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، وهو يضم بين طياته مجموعة من المقالات السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية فبعد تولي البيان العربي أهمية عظيمة وبين هذا المنهج في الإعداد الأولى من الجريدة حيث خاطب الكتاب بقوله: أعلم أن

[1] المرجع السابق، ص 51.

[2] محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا ص 70.

جريدتكم مدرسة فاجعلوا من الكتابة فيها وسيلة لترقية ملكاتكم الكتابية، وأن جريدتكم مظهر للبيان العربي فلا تتركوا منزلتها .[1]

وتعتبر عيون البصائر أضخم عمل أدبي ساهم في بناء النهضة الجزائرية بعد أن اطمأن الاستعمار الفرنسي في طمس الخصية العربية المسلمة وصياغتها بالصبغة المسيحية البغضة، وقد كتبت في أعلى البصائر الأولى آية (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ).[2]

فعيون البصائر يعتبر أهم إنتاج أدبي عمل على بناء صرح النهضة الجزائرية وأوفي مرجع لجانب من جوانبها الفكرية فيقول على الباحثين والدارسين والمربين لناشئتنا أن يولدوا من العناية ما هو جدير به، فهم إن فعلوا ولا أخالهم إلا فاعلين وجدوا كل ما هم في حاجة إليه من أصول وأسس لتوجيه الجيل الصاعد نحو إحياء ثر واته والرجوع إلى ثقافته الأصلية.[3] ولحق أن الإبراهيمي هو أحد الرجال العظماء الدين عرفهم تاريخ الجزائر عبر مراحله المتتابعة ولا يكاد يفوقه سوى رفيق دربه الإمام الشيخ عبد الحميد ابن باديس.

وعلى الرغم من أن الشيخ كتب أبحاثا ومقالات أخرى عديدة ضاع أكثرها إبان الثورة التحريرية، إلا أنه يعد من المفكرين الذين تشغلهم الاهتمامات القومية ومسؤولياتهم في الحركة التحريرية، إلا أنه يعد من المفكرين الدين تشغلهم الاهتمامات القومية ومسؤولياتهم

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، 1925 دار المغرب الإسلامي بيروت لبنان ، 1985 ص .49

[2] سورة الأنعام، الآية رقم 105.

[3] بعزيز بن عمر عن الإمامين عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي ص 128

في الحركة الإصلاحية عن الإنتاج الفكري المكتوب وهو في ذلك كالشيخ سالم بوحاجي، بتونس والشيخ محمد بن العربي العلوي) بالمغرب وقبلها جمال الدين الأفغاني بالمشرق.

فهؤلاء قضوا حياتهم في تكوين الرجال لا في تأليف الكتب وقد كان الشيخ الإبراهيمي يقدم الأهم على المهم فكرس حياته للإصلاح الاجتماعي وتأسيس الجمعيات الخيرية في المدن والقرى ترك الإبراهيمي مقالات سياسية واجتماعية ودينية نشرت في الجزائر والمجلات الوطنية إضافة إلى كم هائل من الكتب التي نذكر منها: أثار الإبراهيمي وله كتب في مجالات الدراسات اللغوية أسرار الضمائر في العربية، وفي مجال الدراسات الأدبية رسالة الصبي ورواية كاهنة الأوراس وهي من النثر الجزائري الحديث ورواية الثلاثة.[1]

ومن حيث الخصال النفسية والخلقية شهد له كل من عرفه وخلطه بعظمة النفس وعلو الهمة وسمو الأخلاق.

وحتى لا يكون حديثا رجما بالغيب وكلامنا بديل نور في ما يلي جملة من الشهادات التي أدلى بها رجال كبار عرفوا الإبراهيمي وخالطوه واختبروا في مبادئ كثيرة وعملوا إلى جانبه في مجالات مختلفة.

ومن حيث الأعمال العظيمة التي تولي من خلالها رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وما أنجزت من أعمال لفائدة الجزائر وثورتها بعد خروجه إلى الخارج وجولته في المشرق العربي وآسيا.[2]

[1] محمد عباس البشير الإبراهيمي أديبي، ص72.

[2] مجلة الوعي، ص 27.

مجالات الاصلاح عند البشير الإبراهيمي

- **المجال الديني:**

البشير الإبراهيمي من بين المصلحين الدين توفرت لديهم نزعة دينية روحية أدرك من خلالها أهمية الانطلاق في الإصلاح الديني باعتباره فاتحة أعمال الحركة الإصلاحية إذ كان هدف الإصلاح هو العودة بالأمة الإسلامية إلى المرتبة التي اختارها الله عز وجل لها وهي مرتبة الشهادة بقوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً).[1]

فقد سعى إلى تغيير نفسية الشعب بسبب التخلف والجهل والبدع التي كان تتخبط فيها وكان يصف الاستعمار قائلا : «جاء الاستعمار الفرنسي إلى الوطن كما تجيء الأمراض الوافدة تحمل الموت وأسباب الموت.... والاستعمار ظل يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح... ومهما يكن نجاح الاستعمار في هذا الباب فما هو النجاح الذي يشرف فرنسا أو يمجد تاريخها بعد أن أبقى جروحا دامية في نفوس المسلمين).[2]

شيخنا الإبراهيمي يوقن أن عمله الإصلاحي أمام استعمار بين (استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنار وروحاني تمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب).[3]

---

[1] سورة البقرة، الآية 143

[2] البشير الإبراهيمي، عيون البصائر تقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الأمة للطبع والنشر والتوزيع، ط 2007، ص 21-22.

[3] محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، ص 72.

فقد جاء عنيف على سادة المجتمع آناك حيث اتهموا الحركة ورجالها فالطريقة التي دفعت كثيرا من شبابنا إلى اعتناق اللائكية ثم الإلحاد، لأنها لم تكن تصور لهم الإسلام الذي تدعى الغيرة عليه والذود عن حماه غلا في صورة دين متأخر جامد لا علاقة له بحياة الناس المادية وتطورهم.[1]

ويقول الإبراهيمي (نظرت في جميع ما لدينا من تراث الأوائل مما نسميه علما وأمعنت في تتبع أطوار العلوم الإسلامية من النقطة التي وصل إليها مداها في الاتساع إلى المنشأ الأصلي فوجد أن جميع علومنا الإسلامية في جميع أدوارها يعوزها الاختبار والنقد ويعوزها الاستقلال في الرأي، تعوزها الشجاعة إلا أن جاءت عصور الانحطاط فان دلك الإعواز بدرة فاسدة للتقليد في جميع علومنا حتى أصبحت أشباحا بلا أرواح).[2]

في سنة 1920 بعد عودته إلى الجزائر دعا الأهالي في سطيف إلى إقامة مسجد حر حتى يتسنى نشر العلم وتوجيه دروس الوعظ والإرشاد وتوجهت جمعية العلماء المسلمين إلى اختيار ثلاثة مندوبين رئيسيين لكي يوجهوا النشاط الإصلاحي في العملان الثلاث فكان اختيار الإبراهيمي لأصعب عمالة في وهران أو منطقة الغرب الجزائري لإنجاح الدعوة الإصلاحية في هذه المنطقة من وجود شخصية لها قيمتها العلمية والفكرية وتتسم بالشجاعة والنشاط.[3]

لم يبخل علماء الإصلاح بتقديم نصائح للطلبة الجزائريين في المشرق العربي الدين أكدوا لهم أن نع الوطن والأمة لا يكون إلا سلاحين هما العلم القوي والأخلاق القويمة،

[1] بعزيز بن عمر، من ذكرياتي عن الإمامين عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي، ص 79.

[2] أثار البشير الإبراهيمي، ج 1، ص 47.

[3] احمد الخطيب، جمعية علماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط 1985، ص 151.

وقد كان الإبراهيمي داعيا للاجتهاد متعصبا للاستدلال ناقدا للفكر الديني المتخلف، ساخطا على الفكر الجامد، مناديا بفكر ديني متحرر.[1]

- **المجال الاجتماعي:**

انصب اهتمام الأدباء وعلى رأسهم البشير الإبراهيمي على الوضع الاجتماعي إذ ذهبوا جوانب واقعية من قضايا عصره فالقارئ للأدب الجزائري سواء المخطوط أو المطبوع يلاحظ أنه سفر ضخم حوى قصائد ومقالات وخطبا وأحاديثا شكلت في مجموعها ملحمة رائعة زاخرة بالبطولة الوطنية والإيمان[2].

كانت المقالات الاجتماعية تعير عن الكثير من المشكلات الاجتماعية والإبراهيمي يقول أيها الإخوان إذ جمعيتكم تفخر بأنها بحجة في جميع طوائف عظيمة من الأمة الجزائرية على الحق بعد أن كانت كلها متفرقة على الباطل واستطاعت أن تعلمهم معنى الاجتماع على الحق والخير وكيفية الاجتماع على الخير والحق.[3]

يقول البشير الإبراهيمي للشباب التي تملك المثل والعمل الشباب المسلم الجزائري كما تمثله الخواطر فإن الإبراهيمي يتجلى فيها بأحكامها ومربي مجربا وطنيا فاضلا خيرا ومسلما مؤمنا.[4]

---

[1] عبد المالك مرتاض، الممنوعة التاريخية للشباب، محمد البشير الإبراهيمي المؤسسة الوطنية المطبعية ، الجزائر ط1984، ص17.

[2] مجلة الثقافة العدد 101 المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة رعاية الجزائر 1989 ص 87.

[3] آثار محمد البشير الإبراهيمي ج1، ص 2019.

[4] عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 145.

كما حاول شيخنا أن يرسم المثل الأعلى في الشباب الجزائري فقال، أتمثله حلف عمل لا حليف بطالة وجلس معمل لا جلس مقصى، وبطل أعمال لا ما صنع أقوال ومرتاد حقيقة الا رائد خيال.[1]

- **المجال العلمي:**

لم يخرج معنى التربية عن المعاني عند الإبراهيمي ورفاقه من المعلمين والمربين فقد سعوا إلى بناء النشء على صحة الإدراك ودقة الملاحظة ونستنتج هدا من خلال قوله للجيل التالي علينا حقوق أولية مؤكدة لا تبرا ذمتنا منها عند الله... إلا إذا أديناها كاملة غير منقوصة... وملاك هذه الحقوق أن نعدهم للحياة على غير الطريقة التي أعدنا بها آباؤنا للحياة.[2]

فقد كان التعليم بالقياس إلى أولئك المعلمين المضطهدين رسالة اتصال لا مهنة الكسب القوت فبوجودهم رفعت الجزائر من الناحية الأدبية إذ لم يكن لديها قبل الحركة الإصلاحية شيء كبير فيهم فتحت الفرائح فقد وصقلت المواهب وأنتجت العبقريات الأدبية التي برزت في صحفها فقد أصدرت الحركة الإصلاحية صحفا كثيرة أهابت بالأقلام أن نمدها بالنقالات والكتابات الأدبية الراقية.[3]

كما حرص الإبراهيمي على توجيه اهتمام المعلمين والعلماء والعاملين في حقل تكوين الإنسان ونشر المعرفة إلى جملة من الغايات من بينها إحياء مجد اللغة العربية وآدابها وتاريخها.[4]

---

[1] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر ص 586 .

[2] آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، ص 272.

[3] عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر ، ص58.

[4] البصائر محمد البشير الإبراهيمي ج3، ص 144

مؤلفاته:

- عيون البصائر: وهي من المقالات التي كتبها بقلمه في جريدة (البصائر) في سلسلتها الثانية.
- كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر والتزم فيه اللهجة السائدة اليوم في مواطن هلال بن عامر.
- كتاب النقابات والنفايات في لغة العرب: جمع فيه كل ما جاء على وزن فعالة من مختار الشيء أو مرذوله).
- كتاب أسرار الضمائر في العربية.
- كتاب التسمية بالمصدر.
- كتاب الصفات التي جاءت على وزن فعل بفتح العين.
- كتاب نظام العربية في موازين كلماتها.
- كتاب الأطراد والشذوذ في العربية (رسالة في الفرق بين اللفظ والمطرد والكثير عند بن مالك).
- كتاب ما أفت به كتب الأمثال من الأمثال السائدة.
- رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا إثنان.
- رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية.
- رواية كاهنة :أوراس بأسلوب مبتكر يجمع بين الحقيقة والخيال كتاب حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام بدأ فيه من أيام إقامته في دمشق بعد الحرب الأولى وأتمه بعد ذلك في فترات، وبحث فيه ينابيع المال في الإسلام، واستخرج ينابيع أخرى غير منصوحة.
- كتاب شعب الإيمان جمعت فيه الأخلاق والفضائل الإسلامية.
- كما نجد العديد من المحاضرات وأبحاث التي ألقاها على تلاميذه.[1]

[1] المرجع السابق ، ج 5، ص 289.

ملخص المقالة: الشاب الجزائري كما تمثّله لي الخواطر[1]

- أتمثّله متساميًا إلى معالي الحياة، عربيدَ الشباب في طلبها، طاغيًا عن القيود العائقة دونها، جامحًا عن الأعنَّة الكابحة في ميدانها، متَّقد العزمات تكاد تحتدم جوانبه من ذكاء القلب، وشهامة الفؤاد، ونشاط الجوارح.
- أتمثَّله مقدامًا على العظائم في غير تهوّر، محجامًا عن الصغائر في غير جبن، مقدّرًا موقع الرجل قبل الخطو، جاعلًا أو الفكر آخر العمل.
- أتمثّله واسع الوجود، لا تقف أمامه الحدود، يرى كل عربي أخًا له، أخوةَ الدم، وكلَّ مسلم أخًا له، أخوة الدين، وكل بشر أخًا له، أخوة الإنسانية ثم يُعطي لكل أخوّة حقّها فضلًا أو عدلًا.
- أتمثّله حِلْفَ عمل، لا حليف بطالة، وحلس معمل، لا حلس مقهى، وبطل أعمال، لا ماضغ أقوال، ومرتاد حقيقة، لا رائد خيال.
- أتمثّله برًّا بالبداوة التي أخرجت من أجداده أبطالًا، مزورًّا عن الحضارة التي (رمته بقشورها)، فأرخت أعصابه، وأنّثت شمائله، وخنّثت طباعه وقيّدته بخيوط الوهم، ومجّت في نبعه الطاهر السموم، وأذهبت منه ما يُذهب القفص من الأسد من بأس وصولة.

أتمثّله مقبلًا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنفع، إقبال النحل على الأزهار والثمار لتصنع الشهد والشمع، مقبلًا على الارتزاق إقبال النمل تجدُّ لتجِدَ، وتدَّخر لتفتخر، ولا تبالي ما دامت دائبة، أن ترجع مرة منجحة ومرة خائبة.

- **أحبّ منه ما يُحبُّ القائل:**
- أُحِبُّ الْفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ ... كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقْرًا
- وأهوى منه ما يهوى المتنبي:

[1] نشرت في العدد 5 من جريدة البصائر، 05 سبتمبر 1947

- وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلَّ سَمِيذَعٍ ... أَرِيبٍ كَصَدْرِ السَّمَهْرِيِّ الْمُقَوَّمِ
خَطَّتْ تَحْتَهُ الْعِيسُ الْفُلَاةَ وَخَالَطَتْ ... بِهِ الْخَيْلُ كَبَاتَ الخَمِيسِ الْعَرْمَرِمِ
يا شباب الجزائر، هكذا كونوا! ... أو لا تكونوا... !
- **الشاب الجزائري كما تمثّله لي الخواطر**[1]
- أتمثّله كالغصن المَرُوح، مطلولًا بأنداء العروبة، مخضوضر اللّحا والورق مما امتصّ منها، أخضر الجلدة والآثار مما رشح له من أنسابها وأحسابها كأنّما أنبتته رمال الجزيرة، ولوّحته شمسها، وسقاه سلسالها العذب، وغذّاه نبتها الزكي، فيه مشابه من عدنان تقول إنه من سرّ هاشم أو سُرَّة مخزوم ومخايلُ من قحطان تقول كأنه ذو سكَن، في السَّكن[2]، أو ذو رضاعة، في قضاعة[3] متقلّبًا في المنجبين والمنجبات، كأنّما ولدته خِندِق[4] أو نهضت عنه أمّ الكملة[5]، أو حضنته أختُ بني سهم [6]، أو حنَّكته تُماضر [1] الخنساء لعوبًا بأطراف الكلام المشقّق، كأنما وُلد في مكّة واسترضع في إياد، وربا في مسلنطح البِطاح.

---

[1] نشرت في العدد 10 من جريدة البصائر، 12 أكتوبر 1947

[2] السكن قبيلة قحطانية.

[3] بيلة يتنازعها قحطان وعدنان، ويقول شاعرهم:

نحن بنو مالك الشيخ الهجان الأزهر قضاعة بن مالك بن حمير

في النسب المعروف غير المنكر في الحجر المنقوش تحت المنبر

[4] ندق هي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، زوجة إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان، وأم أولاده، مدركة وإخوانه.

[5] الكَمَلَة هي فاطمة بنت الخرشب الأنمارية، إحدى منجبات العرب، والكملة أبناؤها الأربعة، وقد سئلت أي بنيك أفضل؟ فقالت: الربيع بل عمار بل قيس بل أنس، ثم قالت: ثكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل، هم كالحلقة المفرغة لا يُردي أين طرفاها، وأبو الكملة هو زياد بن سفيان بن عبد الله بن ناشب العنسي.

[6] لميح إلى قول ابن الزبعري: ألا لله قوم ولدت أخت بني سهم، وهي ريطة بنت سعيد ابن سهم، وقد أنجبت ثمانية رجال أكبرهم هاشم بن المغيرة جد عمر بن الخطاب لأمه، وكانوا كلهم مزيدًا في مفاخر مخزوم.

- أتمثّله مجتمع الأشدّ على طراوة العود، بعيد المستمرّ على ميعة الشباب، يحمل ما حمّل من خير لأن يد الإسلام طبعته على الخير ولا يحمل ما حمّل من شر لأنّ طبيعة الإسلام تأبى عليه الشر؛ فتح عينيْه على نور الدين، فإذا الدنيا كلها في عينيه نيّرة مشرقة، وفتح عقله على حقائق الدين فإذا الدين والكون دالٌّ ومدلول عليه، وإذا هو يفتح بدلالة ذاك مغالق هذا، وفتح فكرَه على عظمة الكون فاهتدى بها إلى عظمة المكوّن فإذا كلّ شيء في الكون جليل، لأنه من أثر يد الله، وإذا كل شيء فيه قليل، لأنه خاضع لجلال الله، ومن هذه النقطة يبدأ سموّ النفوس السامية وتعاليها وتهيُّؤها للسعادة في الكون، والسيادة على الكون.
- أتمثّله مجتلًى للخِلال العربية التي هي بواكير ثمار الفطرة في سلاستها وسلامتها، كأنّما هو منحدر لانصبابها وقرارة لانسكابها وكأنما خيط على وفاء السموأل وحاجب[2]، وأشرج على إيثار كعب وحاتم[3]، وخُتم على حفاظ جسّاس والحارث[4]، وأغلِق على عزة عوف وعروة .[5]
- أتمثّله مترقرق البشر إذا حدّث، متهلّل الأسِرَّة إذا حُدّث، مقصورَ اللسان عن اللغو، قصير الخُطى عن المحارم، حتى إذا امتدَّت الأيدي إلى وطنه بالتخوّن واستطالت الألسنة على دينه بالزراية والتنقص، وتهافتت الأفهام على تاريخه

---

[1] تماضر بنت عمرو بن الشريد أخت صخر، الخنساء الشاعرة المشهورة، وتحريضها لأولادها على الجهاد وحمدها لله حيث ماتوا كلهم في موقعة واحدة، كل ذلك مفصّل في كتب السير والأدب.

[2] السموأل بن عادياء المثل المضروب في الوفاء، وحاجب بن زرارة التميمي مثله وهو الذي رهن قوسه عند كسرى.

[3] كعب بن مامة الإيادي، وحاتم الطائي جوادان مشهوران يُضرب بهما المثل في الكرَم.

[4] جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان قاتل كليب والحارث بن عباد، لهما ذكر تدور عليه حرب داحس والغبراء، وأخبار مفصّلة في كتب الأدب.

[5] عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان، يُعدّ في أولياء العرب وأعزّهم، ولعّزته قابل الملك عمرو بن هند: لاحر بوادي عوف، وعروة بن المنبه بن جعفر بن كلاب الرحّال أو الوفّاد، كان يجير اللطائم للمناذرة ويجير على الحيين بكر وتغلب حتى قتل، وكان قتله سببًا في يوم الفجار بين كنانة وقيس.

بالقلب والتزوير، وتسابق الغرباء إلى كرائمه باللَّصّ والتدمير، ثار وفار وجاء بالبرق والرعد، والعاصفة والصاعقة، وملأ الدنيا فعالًا، وكان منه ما يكون من الليث إذا دِيس عَرينه، أو وُسم بالهون عِرْنِينُه.

- أتمثّله شديدَ الغيرة، حديدَ الطيرة، يغار لبنت جنسه أن تبور، وهو يملك القدرة على إحصانها، ويغار لماء شبابها أن يغور وهو يستطيع جعله فيّاضًا بالقوة دافقًا بالحياة: ويغار على هواه وعواطفه أن تستأثر بها السِّلع الجليبة، والسحن السليبة، ويغار لعينيه أن تسترقهما الوجوه المطرّاة، والأجسام المعرّاة.
- يا شباب الجزائر، هكذا كونوا! ... أو لا تكونوا... !

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية لمقالة الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر

1. الايحاء القرآني:

إن القارئ والدارس لكتابات الشيخ البشير الإبراهيمي يدرك ويستنبط ذاك الرمز إلى الآية القرآنية وكلام الله عز وجل، فهو يدمج الآية القرآنية وسط عبارته وكلامه دمجا بارعا وبديعا، ويوظفها توظيفا محكما للدفاع عن قضاياه، فلا يدرك كنهها وبعدها إلا العارفون بالقرآن الكرم والمتضلعون في إعجازه البياني والبديعي.

ولا يكاد يخلو أي مقال من مقالات الشيخ البشير الابراهيمي من هذه الرموز القرآنية التي غدت سمت دائمة في خطاباته وأقواله، والتي أضفت على خطاباته ميزة تسمو بالرونق والجمال الإبداعي والبلاغي.

وتعد مقالة "الشباب الجزائري كما تمثله لي الخواطر" مسرحا لهذه الميزة، فتراه كيف يقتبس من الآية الكريم: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[1].

قوله "يرى كل عربي أخا له، أخوة الدمم وكل مسلم أخا له أخوة الدين، وكل بشر أخا له، أخوة الإنسانية، ثم يعطي لكل أخوة حقها فضلا أو عدلا"، فهو يربط بين هذه القبائل والشعوب بعلاقة الأخوة ولكن لكل أخوة سمتها وخصائصها التي تميزها من الأخوة الأخرى.

وفي موضع آخر نراه يعمد إلى أسلوب القرآني في النهي عن حرمات الله عز وجل، وحرمات الناس بأسلوب بديع وبارع "عفا عن محارم الخلق ومحارم الخالق"، داعيا الشباب إلى دعوة الحق واجتناب الباطل "مقصور اللسان إلا على دعوة حق أو صرفة وجه

[1] سورة الحجرات، الآية 13.

الباطل محاكيا الآية الكريمة: "ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّور" [1].

كما أن الشيخ البشير الابراهيمي يرى أن اتباع خطوات الشيطان وطريقه من أكبر مفاسد الشباب وأخطرها سواء في دنياه أو آخرته فيقول وسواء لنفسه أو لوطنه فيقول: "والأوطان لا تخدم باتباع خطوات الشيطان مصداقا لقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[2].

ويبقى الرمز والايحاء القرآني في مقالات الشيخ البشير الابراهيمي أحد أهم الأساليب التي يلجأ إليها في إظهار وتبيين مواقفه وحججه والدفاع عن قضايا الشباب الجزائري والأمة العربية والإسلامية ككل، فيقول الدكتور "عبد الرزاق قسوم" في كتابه آثار الشيخ البشير الابراهيمي: "ما أبرع الابراهيمي وما أروع أسلوبه الرمزي القرآني هذا في التأثير على قارئه... وأنى لهذا القارئ أن يدرك هذه الرموز وأبعادها، إن لم يكن مدركا للقرآن ومعتادا على إعجازه البياني، وبرهانه الرباني!... تلك إذن هي الأداة المعرفية الضرورية الأولى لم يروم قراءة" "عيون البصائر".

[1] سورة الحج، الأية 30.

[2] سورة النور، الآية 21.

2. الفكر العقلاني:

إن في الفكر العقلي لدى الشيخ البشير الابراهيمي لسرا عميقا في فلسفته وتفكيره العلمي والعقلي، ذلك أن هذا المقال يأبى ألا أن يأخذ خطه في هذه الجوانب المعاصرة كلها، وفي براعة وفن كما ألفناه عنده في مجال الذوق الأدبي والبيان البلاغي والتبحر الفقهي والذكاء السياسي.

فقد كان المقال لدسه معاصرا لاهتمامات العقل أنذاك فاتسم بالحكمة الفلسفية من حيث المعنى وبالنزعة العقلية من حيث البرهنة.

فكان خطابا متوازنا ذا تداولية تجمع بين الفلسفة والدين، دون غلو أو إفراط، وقد يكون ضروريا لما تمليه الظروف السياسية والفكرية والثقافية أنذاك، فكان لابد للخطاب أن يكون مواكبا للمنهج الفلسفي والعقلي لاكتساب القضية الكبرى قوة الحجة ومنطقية الدليل.

فقد رأينا كيف استغل الرمزية الدينية في إبراز قضاياه والدفاع عنها في بلاغة وحبك فني متميز يتراوح بين متانة العقل ورفعة الذوق الأدبي.

كما نراه يستعمل الأسلوب المباشر الدافع تجاه الشباب وعقولهم مأبة تنويرها وتوجيهها إلى طريق الإصلاح، فيستعمل النداء مباشرة، يا شباب الجزائر هكذا كونوا أو لا تكونوا، هذا النداء الذي جعله لازمة طول مقالته من أجل تبيان أن وجهة الخطاب للشباب الذي يراه مفتاح الإصلاح وتغيير الأوضاع إلى ما هو أحسن، والسمو بعقول الشباب إلى كل ما هو خير للبلاد والعباد.

وتارة أخرى نراه يستعمل التمثيل من أجل ايصال معاني الإصلاح إلى الشباب: "أتمثله متساميا إلى معالي الحياة، أتمثله واسع الوجود، تمثله واسع الآمال إلى حد الخيال..." فهو بهذا يرسم الفتى المثالي في عقول الشباب الذي يكون فخرا لوطنه ودينهن

والذي يعيش من أجل قضايا وطنه ودينه فيقول: "ما قيمة ذلك كله؟ إذ لم تتفق دقائقه في تحصيل العلم، ونصرة الحق، ونشر اللغة، ونفع الأمة وخدمة الوطن".

فهو يسعى دائما إلى رسم صورة ذلك الفتى المثالي في عقول الشباب الذي يصبو إلى معالي الحياة الحقيقية ويطغى كل القيود المعيقة تجاه ذلك.

فيمتنع تلك المحاولات العقلية الدامغة ويوردها بالحجج والبراهين الواقعية في ثوب أدبي راق وجميل.

ونلمس أحدى تلك المعادلات في مقالتنا هذه.

يقارن بين ذاك الشباب الفتي المتشبع بثقافة الحياة الكريمة والحرية في إطارها الديني والاجتماعي، والساعي إلى كل ما ينتفع به ويكون نفعا لغيره ووطنه ودينه المتفائل بالنجاح والوصول إلى المبتغى المقبل على الحياة بكل عنفوانية: "متساميا، طاغيا على القيود، متقد العزمات، مقبلا على العلم والمعرفة ..." وبين ذاك الشاب الفاقد للهوية الأصيلة له، منبهرا وتابع لحضارة غير حضارته، ومتأسيا بأخلاق غير أخلاقه المرجوة منه، مستسلما لغيره، متناسيا صيت حضارته وهيبتها، مقيد بأوهام الاستعمار: " أرخت أعصابه، أنثت شمائله، خنثت طباعه وقيدته بخيوط الوهم ..."

فترة تلك الايحاءات والإحالات على تعددها كيف أنها تشير إلى آفات الشباب الجزائري أنذاك، وكلها ظواهر مقيتة في المجتمع فكانت تلك المقابلة بين الآخر وضدها من الإصلاح من طرف الشيخ الابراهيمي كفيلة بإبراز القضية وكيفية معالجتها.

يقول الدكتور قسوم: " إن الفكر العقلاني لطافح، بمنهجه، وأدلته، وبراهينه في خطاب" عيون البصائر"، وسيؤسر القارئ بصوره الخلابة الجذابة، بما أوتي هذا الخطاب من حكمة وفصل خطاب. وحسبنا أن ننبه القارئ والدارس إلى هذه الجوانب المضيئة في الخطاب، حتى يملأ منها النفس والوطاب".

3. العمق المعرفي:

وفي مقالة "الشباب الجزائر كما تمثله لي الخواطر" هناك جمالية أخرى ترتسم واضحة جلية في ذهن القارئ لهان ويمكن تسميتها بالعمق المعرفي للشيخ، وهذا اللون المعرفي يمثل مزيجا من الفقه وأصوله وعلوم الدين والتصوف وكذا اللغة وآدابها، وكذا بالكلمة ونحوها وبلاغتها وصرفها، مقرونا بالفكر السياسي الإصلاحي الجزائري في محاولة لإيصال الفكرة والقضية جلية نظرة مدافعا عليها بالحجج والبراهين المتينة والرصينة، فانظر إلى توظيفه للعبارات: محمدي الشمائل، محارم الخالق، مقصور اللسان، صرفه في وجه الباطل، الطاهرين والطاهرات، يضلل في الدين ..."، فتراه كيف استلهم هذه العبارات من فضائها الديني الفقهي ملبسا ايها ثوب الإصلاح بنبرة سياسية اجتماعية تجاه الشباب الجزائري.

ويخترع الابراهيمي بخياله الأدبي الفسيح، وثقافته العرفانية الواسعة ناوين للأوسمة الدينية مستوحاة من حقيقة الفقه والثقافة الإسلامية: "متساميا إلى معالي الحياة، واسع الوجود، حلف عمل، حلس معمل، برا بالبداوة، مقبلا على الارتزاق، متين الاتصال بالله ..."، فلكل عبارة ومصطلح خفق وتأثير ايجابي على عقل وشخصية المخاطب "الشاب الجزائري" .

إن كل مصطلح من هذه المصطلحات المنثورة في خطاب الابراهيمي يحيل إلى قضية فقهية أصولية في الثقافة الإسلامية وأنى لغير المتضلعين في هذه الثقافة من فهم مراحي الخطاب لديه وما صبو إليه.

لذلك كان من الضروري بالاستعانة على دراسة الخطاب الابراهيمي بإحداث القابلية والاستعداد ولن يتأتى ذلك إلا بالأخذ نصيب من فنون الثقافة الإسلامية، وملء الوطاب بمفاتيح الدخول إليها.

وفي هذا السياق يقول "قسوم" يتصدى الإبراهيمي لهذه الأصولية الاستعمارية فيجمع لها كل الأدوات المعرفية والبيانية ليحكم بثقافتها مبينا ذلك بالبراهين العقلية، والقواعد النحوية والمنطقية الصورية ... مطبقا على ذلك كله منهجه التحليلي البلاغي الرهيب".

4. السياق التاريخي:

تبارك الذي خلق محمد البشير الابراهيمي فجعله كاتب الجزائر الأصيل وابن العروبة السليل، وحامي حمى الإسلام المثيل، أمره بالإلهام فكان عقله ناطقا بسمو الفكر، ولسانه ذاكرا الله بالشكر، وضميره طافحا يجب الأمة.

لقد ترك لنا مجموعة من الكتابات "عيون البصائر" فجاءت جامعة للبيان والعرفان ومدونة لسيرة الأعداء والخلان، يجد فيها القارئ الموسوعة الثقافية والأدبية والتاريخية والسياسية للجزائر والأمة العربية.

إن الشباب الجزائري ومن ورائه الشباب العربي والمسلم سيجد في كتاباته أبرز حوادث العصر بتموجاتها، وصراعاتها وتحدياتها وردود أفعالها ... وهي كافية لمن اقتصر عليها، بشرط فك رموزها الكثيرة وتجاوز ألغازها وايحاءاتها العسيرة وهو ما يمثل السياق التاريخي للجزائر والعالم الاسلامي في عصر الابراهيمي.

ولعل أهم مسايرة للتاريخ في مقالتنا هو مواجهته للحيل والتدابير الاستعمارية التي أرادت القضاء على الشخصية الجزائرية المسلمة العربية ومحاولة تشويف الدين الإسلامي والقضاء على اللغة العربية، فأعطاهم ذلك النموذج الرائع الذي يجب أن يقتادوا به: " أتمثّله مصاولًا لخصومه بالحجاج والإقناع، لا بالحجاج والإقناع، مُرْهبًا لأعدائه بالأعمال، لا بالأقوال..."، فقد رسم لهم مبادئ نيرة مضيئة وطالبهم بالاقتداء بها، "أتمثله بانيًا للوطنية على خمس كما بني الدّين قبلها على خمس: السباب آفة الشباب، واليأس مفسد للبأس، والآمال لا تدرك بغير الأعمال، والخيال أوّله لذّة وآخره خبال والأوطان لا تخدم باتّباع خطوات الشّيطان.

يا شباب الجزائر.. هكذا كونوا.. أو لا تكونوا.

يقول الدكتور قسوم في هذا الصدد : " هل نحن أمام طلاسم كاهن؟ لا بل إنها رموز للواقع التاريخي المشين أنذاك، آثر الكاتب هذا الأسلوب الرمزي الإشاري للدلالة عليه".[1]

[1] آثار الإمام البشير الابراهيمي، الجزء الثالث، عيوب البصائر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1997، ص 5-22.

5- محاكاة التراث العربي:

أن ابرز ما يجذبنا اليه الشيخ البشير الإبراهيمي في كتاباته الى ثوابت الأمة سواء كانت لغة أو دينا أو عقيدة أو تراث. تمثل البنية الأساسية واللبنة الحقة لبناء الهوية الجزائرية التي يصبو اليها مع قرنائه من جمعية علماء المسلمين. فدائما يجعل الإسلام هدف يدافع به ويدافع عنه وعن عقائده وشعائره، ويجعل من اللغة سيف ذو حدين سواء بالدعوة الى الإصلاح أو نبذ الآفات التي ألمت بالشعب الجزائري ابان الاستعمار.

فهو دائم المفاخرة بالتراث العربي الأصيل ويضرب به المثل الأعلى للشباب الجزائري فتراه يقول في مقالتنا:" اتمثله برا بالبداوة التي أخرجت من أجداده أبطالا. مزور عن الحضارة التي رمته...". فيستنكر هذا شغف بعض الشباب بالحضارة العربية ومظاهرها التي بدت عليه. متناسيا حضارته العريقة التي كانت ذات يوم منبعا للإبطال والعلماء والشهامة وعلم. مقلدا حضارة غير حضارته " أرخت اعصابه، وأفنت شمائله، وخنثت طباعه، وقيدته بخيوط الوهم... وأذهبت ما يذهب القفص من الأسد من بأس وصولة".

كما يذكر لنا في مقالة مواطن العروبة ورمزيتها لما يقول " كأنما أنبتته رمال الجزيرة، ذو سكن في السكن قطاعة، كأنما ولد في مكة، واستوضع في أياد...". فكل هذه الأسماء تعد المواطن الأصلية للعرب فهي ذات دلالات علي الأصول العربية للشباب الجزائري التي أراد الاستعمار الفرنسي تزيفها وتغيرها لأغراضه الاستعمارية.

كما ستميل القارئ بذكره لسناء كان لها الأثر لهن اثر في الحضارة العربية بفضل أفعالهن المجيدة في هذا التراث،" خندق ، أم الكلمة، أخت بني سهيم، تماضر،.... وغيرهن". فهو يضرب المثل الأعلى للمرأة العربية في منطوقها وشهامتها فكن بمثابة الفخر لأولادهن من بعدهم ومفاخرة لقومهن.

ولا يغفل الذكر على الشخصيات العربية التي تركت من ورائها تاريخا يحكي عنها وعن بطولاتها، فهو يضرب المثل لما يتكلم عن الوفاء بالسموأل وحاجب بن زرارة التميمي، ولما يتكلم عن الآثار يذكر لنا كعب بن ماجة الأيادي، وحاتم الطائي، ولما يتكلم عن رباطة الجأش والحفاظ يذكر لنا جساس ابن مرة والحارث بن عباد ويذكر عوف بن معلم، وعروة بن الحنبه في العزة والكرامة.

وللكل شخصية ممن ذكرنا رمزيتها الخاصة التي تدلي بها، فيجلها الشيخ البشير الإبراهيمي منبرا ومعلما يقتدي به الى ما رمزت اليه،

ويلمز لنا الشيخ الإبراهيمي في قوله:" أتمثله حنيفا فيه بقايا جاهلية يدخرها لميقاتها". فهو يقصد كذلك الغير والنزعة العدائية التي كان يتميز بها الرجل العربي تجاه كل ما يمس بعقيدته وحرماته، فهو ينصح الشباب بهذه النزعة لحماية دينهم ووطنهم وأعراضهم من الاستعمار الذي يريد أن يمسخ كل ما هو مقوم للشخصية والهوية الجزائرية من عروبة ووطن ودين.

إن تشبع الإبراهيمي بالثقافة العربية وحضارتها القديمة جعل منه مستلهما منها في كتاباته ومقالاته؛ فتري مفاخر العرب وأقوالهم منشورة فيها سواء لغرس الروح العربية في نفوس الشباب أو لضرب المثل لهم من الحضارة العربية.

6- الإبداع البياني:

لا يمكن أن نمر على مقالات الإبراهيمي دون الكلام عن إبداعه البياني وحسه اللغوي المرهف ومحسنات البديعية التزيد من خصوصية رونقه وجمالا ودقة في الفكرة وإيصالا للفكرة. فهو يأخذ من النحو العربي شروحه، ومن المجاز البلاغي وضوحه، ومن الفقه الديني طروحه، ليبعث الكل سمو إشارة ودقة العبارة.

فهل يستطيع القارئ العادي أن يدرك هندسة هذه العبارات، وفلسفة تلك الإشارات، إذ لم يكن معدا إعداد ثقافيا عميقا، وله مخزون فكري ولغوي كبير لذلك نسأل الدكتور "قسوم" عن هذا بقوله:" وأننا نتساءل بكل موضوعية لمن كان يكتب الإبراهيمي هذه المقالات، إذا علمنا المستوى الثقافي للإنسان آنذاك، في الجزائر على الخصوص، وحظ الجزائر م العروبة في ذلك الحين !!؟؟".

فذلك هو العائق الذي يصدم به فائق التكوين الثقافي في قراءته لمقالات الإبراهيمي فتراه في مقاله " الشباب الجزائري كما تمثله في الخواطر"، في أول فقرة، " أراه متساميا الي معلي الحياة، عربية الشباب في طلبها، طاغيا عن القيود، العائقة دونها..." الي أخر فقرة " أتمثله بانيا للوطنية على خمس، كما بني الدين قبلها على خمس" نلمس تلك القوة البلاغية والرصانة في استعمال العبارات وحسن توظيفها، فيجب ان تقرا بعقل مفتوح، وقريحة وقادة، مزودة بزاد ثقافي خاص، وان من متطلبات هذه الاستعدادات ضرورة استحضار قاموس موسوعي متعدد الاختصاصات للتغلب على عقبة الفهم.

فلما يحث الشباب على الإقدام بقوله:" تمثله مقداما على العظائم في غير تهوّر، محجامًا عن الصغائر في غير جبن، مقدرًا موقع الرجل قبل الخطو، جاعلا أول الفكر آخر العمل " فهو يرسم تلك الصورة الإبداعية بقريحة لغوية فذة من مقابلة، وطباق، وبألفاظ وعبارات موحية ومرهفة تدل على قيمة كاتبها. وكذلك لما يبحث الكاتب الجزائري

عن العمل يرسم له صورة إبداعية أخرى فيقول: "أتمثله حلف عمل، لا حليف بطالة، وحلس معمل، لا حلس مقهى، وبطل أعمال، لا ماضغ أقوال، ومرتاد حقيقة، لا رائد خيال ". فيعتمد أيضا الى المقابلة بين الشيء وضده فيوضح مزايا الشاب العامل ويبرز مساوئ الشباب الخامل التائه في أوهامه.

وننظر لما يتكلم عن الشاب الجزائري الذي يراه هو فيقول:" ارتضع أفاويق الإصلاح صبيّا ، وزُرت غلائلُه عليه يافعاً ، فنبتت في حجره ، ونبتت قوادمه في وكره ، أمن بعقله وفكره أن يضلل في الحياة كما أمن يضلل بهما في الدين" إن من هذا البيان لسحر، فيه العقيدة والحكمة والبلاغة والمنطق والتاريخ وكل ذلك بعبارات قلة ودلت. فلا يمكننا القول إلا في كل لفظ وعبارة للشيخ، يمكن الجاد جيل الي قضية معينة، يضاف إليها سحر البيان وبراعة التصوير، وهندسة الكلمة ممزوجة بخصوبة المرجعية التاريخية والعلمية والعقائدية وكذا الفكرية.

فنستمع اليه وهو يحض الشباب على التمسك بقيم الوطنية والإباء، ويحثهم على خصال الشباب السميدع لبناء وطنه فيقول:" تمثله بانيًا للوطنية على خمس...والأوطان لا تخدم باتّباع خطوات الشّيطان. يا شباب الجزائر.. هكذا كونوا.. أو لا تكونوا. " فنرى تلك الخصوصيات الإبداعية في خطاب الإبراهيمي وذلك الربط المحكم المتين والبديع بين المبني والمعني وبين الموسيقي التصويرية والدلالة العبيرية، كل ذلك في سجع مقل وإيجاز غير مخل.

وأمثلة كثيرة لا نجدها في مقالة " الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر" مشعة بالسحر البياني والمحسن البديعي الراقي نختمها بقوله لما يتكلم عن قيمة الشباب،" يا شباب ما قيمة الشباب؟ وان رقت انداؤه، وتجاوبت أصداؤه، وقضيت أوطاره وغلا من بين أطوار العمر مقداره، وتفانت على أفنان الأيام والليالي أطيار...".

فنلمس تلك الصور الإبداعية الجمالية بتراكيبها ومفرداتها والإحاطة بالبلاغة والنحو وسيلة ضرورية لفك مكوناتها وما ترمي اليه وبدون ذلك يبقي الفهم مبتورا. وهذا ما جعل الدكتور "قسوم" يقول:" تصوير رائع وربط محكم بين المقولات الفكرية كفرنسا والإسلام ، الإدماج والاندماج، وبين المقدمات العقلية المستوحاة من القواعد النحوية، كالتركيب المزجي، والزيت والماء، والمعاني التاريخية... وتلك هي عبقرية الفهم، في الخطاب الإبراهيمي من خلال الإبداع البياني.[1]

[1] آثار الإمام البشير الابراهيمي، الجزء الثالث، عيوب البصائر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1997، ص 5-22.

خاتمـــــــة

خاتمـــة

لقد توصلنا في نهاية هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج نذكر منها ما يلي:

- كان الأدب الجزائري في وقت الاستعمار ثريا يعالج قضايا هذا الشعب بفائق الاهتمام و دقة في الوصف و شفافية في النقل.
- أولى الإبراهيمي أهمية كبيرة للغة العربية باعتبارها لغة القرآن وانتماء للعروبة فهي عنوان الانتماء والهوية.
- قضية الاستدمار الفرنسي واحتلاله للجزائر من القضايا التي طرحها الإبراهيمي وأعاد الطرح نظرا لما طال شعبه من ظلم واستبداد .
- الدين الإسلامي من أكبر هموم الإبراهيمي والمحافظة عليه واجب كل جزائري فجعلها قضيته الشخصية لأنه أديب ورجل دين أولا، ففضح محاربي الإسلام وكشف خططهم ودعا للتمسك به.
- لغة الإبراهيمي غاية في الدقة إذ عالج قضاياه ببراعة و بلاغة منقطعة النظير.
- إن الأدب الجزائري رغم الاحتلال و الظروف العصيبة التي كان يمر بها إلا أنه كان معطاء، وأدباءه يتفننون في طرح انشغالات الشعب.
- عيون البصائر مقالات احتوت على عدد كبير من الصور البيانية والمحسنات البديعية و هذا ساهم في ارتقاء لغة هذه المقالات.
- لغة عيون البصائر كانت غاية في الاتساق و الانسجام فكل لفظة يكتبها كأنه يخطط لها من قبل ويضعها في مكانها المناسب.
- استخدم التشبيه والبلاغة والاستعارة و الكناية فقارب بين الواقع و المجاز بألفاظ غاية في الوصف والتدقيق.

- كان أسلوبه كقناص محترف، سلاحه قلمه ودائما يصيب الهدف بلغته التي أقل ما يقال عنها أنها فن وإبداع.
- لغة الإبراهيمي سهلة ودقيقة، لا غموض فيها فكل قارئ يستطيع فهم مقصده بمجرد القراءة فهي لا تحتاج لا شرح ولا تفسير.
- تأثر الإبراهيمي بالقرآن الكريم و كذلك الحكم والأمثال الشعبية واتضح ذلك في أغلب كتاباته.

فقد ترك خلفه صورا من الابداع الادبي وسمو البيان العربي ، قد نحت كلماتها من لآلئ النثر الفني ورسم عباراتها بروائع الذوق الشعري ،جعلت منه مدرسة في حد ذاتها .

الملاحـــــق

الملحق:

بعض أقوال المفكرين والعلماء في البشير الإبراهيمي:

الأستاذ محمد ابراهيم الكتاني:

يعتبر الإبراهيمي مثلا فريدا من الأئمة الأفداد الدين بعثهم الله في الأمة.

قدم الإبراهيمي في مشواره الإصلاحي نخبة صالحة من المشايخ يعملون في سبيل التعلم والإرشاد وأكثرهم من التلاميذ ابن باديس والإبراهيمي رحمهم الله، وابن التبيني وخير الدين في الإخلاص والتضحية وخصوصا من الناحية العلمية المدهشة، مثل النجوم اللامعة والقمر المنير.[1]

في الجزائر كان على الإسلام أن يصبح وطننا الوحيد، وأن يبدي رجال الكتابة والإعلان عنه بالصوت العالي، ونشره في الناس بكل شجاعة وإيمان .[2]

ومن الذائع المشهور أن من قوية حافظة ضعفت قوة الفهم عنده لكن الإبراهيمي آية الله في دقة الفهم وعمق التفكير والغوص في دقيق المعاني وقوة الحافظة وسرعة الاستحضار.

ولعل من أغرب نواحي شخصية الإبراهيمي، تعادل قواه واتزانها وخلوه من مظاهر الجنون والنبوغ والعبقرية التي تلازم عادة الممتازين المتفوقين.

روجي غارودي: فرنسي الجنسية وشيوعي الإيديولوجية ومسلم العقيدة، فإن شهادته عن الشيخ الإبراهيمي التي استقرت في ضميره منذ 1944 لم تخرج إلى الناس إلا في مقال كتبه في مجلة «الثقافة الجزائرية علم 1985»، ويقول غارودي أنه كانت هناك صورة كبيرة للأمير عبد القادر تغطي جدار صالون الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، إنها

[1] مجلة الوعين ص 10.

[2] الشيخ الإبراهيمي، شهادات، مقالات بالفرنسية، جمعها نور الدين حنودي، دار الأفكار الجزائر، 2007، ص 56.

الصورة الكبير للبشير الإبراهيمي في حياته الدينية والعسكرية شرح لنا الشيخ الإبراهيمي أثناء استقباله لنا تواصل النضال الذي بدأه الأمير إلى ما بعد 1830 وهو اليوم في نضال الشعب الجزائري ضد التهديد للقضاء على شخصيته وصياغ هويته هذا الخطر القائم على صدر شعبنا منذ أكثر من قرن بفعل الغزو الفرنسي، وبتواطؤ ومساعدة الطرفية التي تتعاون مع المحتل تحت غطاء إسلام مظلوم[1]. "لقد رفع الإصلاح في الجزائر برنامج يتخذ شعار له هذه الصيغة النبيلة «الإسلام دينا والعروبة لغتنا والجزائر وطننا».[2]

ويضيف بأن الشيخ الإبراهيمي مثل جمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس الروح للثورة الثقافية الحقيقية بالجزائر والتي جعلت بالإمكان تحرير الشعب الجزائري من فترة 130 سنة من الإستيلاء مستعيدا بذلك الهوية العربية الإسلامية .[3]

الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله: يقول في الإبراهيمي أنه كان عصرا، كان جيلا، وكان من أوائل الأقداد في القبائل الذين أملوا إراداتهم على الحياة أخضعوا الأيام لمشيئتهم وأخرجوا بلادهم من مصير شاءه له الظالمون إلى مصير رسموه لها بأنفسهم فحددوا أهدافهم واقتحموا طريق الوعر المنهك للقوى غير عائدين مما كان يلقونه من الغاصب الدخيل من بهتان.[4]

وقد حق الأستاذ أحمد توفيق المدني فيما وصف به الإبراهيمي ورفاقه فإن لكل عصر رجاله وإن عصر الإبراهيمي كان في أمس الحاجة إلى مثل هؤلاء الأعلام.

---

[1] مجلة الوعي، ص 17.

[2] عثمان شوب، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ص 161.

[3] مجلة الوعي، ص 17.

[4] مجلة الثقافة، ع 87، ماي–جوان، 1985، ص 91

سحابة يومه في البناء والتعمير ويقضي سواد ليله في التدبير والتذكر ولم نكن نعرف من خلال هذه الملحمة مقرا معلوما إلى السيارة يمتطي منها الأيام والليالي ويحترق بها، فما من مدينة وما من قرية وما من مضرب من مضارب البدو إلا غشيها وبث فيها الروح وغرس فيها بذور النهضة، واجتثت منها طفيليات القاتلة ولا يبرحها إلا عن مسجد مؤسس، أو مدرسة مرتفعة.[1]

تاريخ مسجد كتشاوة:

يعتبر جامع كتشاوة من أشهر المساجد التاريخية في العاصمة الجزائرية، سمي كتشاوة نسبة إلى السوق التي كانت تقام في الساحة المجاورة وكان الأتراك يطلقون عليها اسم سوق الماعز، حيث أن كلمة كتشاوة بالتركية تعني عنزة (كيتك ساحة وشافا: عنزة) بني في العهد العثماني سنة 1021-1792م لكنه حول على كنيسة بعد أن قام الجنرال دوق دو روفيغو القائد الأعلى للقوات الفرنسية الذي كان تحت إمرة قائد الحملة الفرنسية الاستعمارية دو بونياك بإخراج جميع المصاحف الموجودة فيه على ساحة الماعز المجاورة التي صارت تحمل فيما بعد اسم ساحة الشهداء واحرقها عن آخرها فكان منظرا أشبه لمنظر إحراق هولاكو للكاتب في بغداد عندما اجتاحها وقد قام الجنرال روفيغو بعد ذلك بتحويل الجامع إلى إسطبل بعد أن قتل فيه من المصلين ما يفوق أربعة آلاف مسلم كانوا قد اعتصموا فيه احتجاجا على قراره تحويله على كنيسة وكان يقول يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه صعيد عليه المسيحيين، ثم صدم المسجد بتاريخ 1832/12/18، وأقيم مكانه كاتدرائية حملت اسم سانت فيليب وصلى المسيحيون فيها أول صلاة نصرانية ليلة عيد الميلاد 24 ديسمبر 1832م فبعث الملكة إميلي زوجة

[1] نفسه، ص 47.

لويس فيليب، هداياها الثمينة للكنيسة الجديدة أما الملك فأرسل الستائر الفاخرة وبعث البابا غريغور السادس عشر تماثيل

القديسين.

وبعد الاستقلال تم استرجاعها وتحويله غلى مسجد يوم الجمعة 2 نوفمبر 1962 وألقى خطبة الجمعة الشيخ البشير الإبراهيمي.

المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر:

1. آثار الإمام البشير الابراهيمي، الجزء الثالث، عيوب البصائر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1997.
2. البشير الإبراهيمي، عيون البصائر تقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الأمة للطبع والنشر والتوزيع، ط 2007.
3. الشيخ الإبراهيمي، شهادات، مقالات بالفرنسية، جمعها نور الدين حنودي، دار الأفكار الجزائر، 2007.

ثالثا: المراجع:

1-الكتب:

4. إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص، (منشورات الاختلاف، ط1 ، 2010).
5. ابن منظور، لسان العرب، ج 11، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط2، 1419هـ – 1999م.
6. ابو قاسم سعد الله، في قلب المعركة، شركة الأمة، الجزائر ط1، 1994.
7. احمد الخطيب، جمعية علماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط 1985.
8. ان منظور، لسان العرب المحيط، محند الخامس، دار الجيل، بيروت، 1423هـ 1988م، مادة (ق، و، ل).
9. أنطونيوس بطرس، الأدب تعريفه – أنواعه – مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس-لبنان، ط1، 2013م.
10. بطرس البستاني، محيط المحيط، (د.ط)، مادة (ق-و-م).

11. بعزيز بن عمر، من ذكرياتي عن الإمامين عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي.
12. داود غطاشة الشوابكة، مصطفى محمد الفار، دراسات أدبية نقدية في الفنون النثرية، دار الفكر، عمان، ط2، 1431هـ 2010م.
13. عبد الغني ابن محمد، أتعرف على الشيخ البشير الإبراهيمي ابن باديس ورفاقه، ورواد الإسلام .
14. عبد المالك مرتاض، الممنوعة التاريخية للشباب، محمد البشير الإبراهيمي المؤسسة الوطنية المطبعية ، الجزائر ط1984.
15. عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط).
16. عبد المالك مرتاض، محمد البشير الإبراهيمي، منشورات وزارة الثقافة والسّياحة، (الجزائر، الرغاية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، 1984).
17. عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ، ط1، 1979م، ط2، (يناير) 1984م.
18. عثمان شوب، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ص 161.
19. فوزي عيسى، دراسات في الأدب الحديث، دار المعرفة الجامعية، طبع نشر توزيع 2010.
20. مجوعة من الكتاب، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، (شركة دار الأمّة، ط 2، 2007).
21. محمد الطّاهر فضلاء، الإمام الرّائد: محمد البشير الإبراهيمي، (قسنطينة، مطبعة البعث، 1967).
22. محمد الهادي الحسني، البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، (الجزائر، عالم الأفكار للنشر والتّوزيع، د ط، 2007).

23. محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديبا، (وهران، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د ت).

24. محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، 1925 دار المغرب الإسلامي بيروت لبنان ، 1985 .

2-المجلات والملتقيات:

1. مجلة الثقافة العدد 101 المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة رعاية الجزائر 1989 .

2. مجلة الثقافة، ع 87، ماي-جوان .

3. مجلة الوعي.

4. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط3، 1405هـ -1985م.

5. وزارة الشؤون الدّينية، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 6، (الجزائر، 1994).

6. محمد البشير الإبراهيمي، "أنا"، ج 21، (القاهرة، مجلّة مجمّع اللّغة العربيّة، 1966).

7. أحمد عيساوي، الفكر الاصلاحي عند الشيخ العربي التبسي، اشغال الملتقى الوطني الرابع للفكر الاصلاحي في الجزائر، ج. 1، الجمعية الثقافية العربي التبسي.

الفهـــرس

الفهـــــرس

تشكر	
إهداء	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي: قراءة في المصطلحات المفتاحية	
تعريف المقال لغة واصطلاحا	08
1- لغة	08
2- اصطلاحا	10
مفهوم الاصلاح	11
الاصلاح لغة	11
الاصلاح اصطلاحا	12
حياة الإبراهيمي	15
مولده ونشأته	15
اثاره	17
مجالات الاصلاح عند البشير الإبراهيمي	20
مؤلفاته	24
ملخص المقالة: الشاب الجزائري كما تمثّله لي الخواطر	25
الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لمقالة الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر	
1. الايحاء القرآني	30
2. الفكر العقلاني	32
3. العمق المعرفي	35

4. السياق التاريخي	37
5- محاكاة التراث العربي	39
6- الإبداع البياني	41
خاتمـــة	45
الملحق	48
قائمة المصادر والمراجع	54
الفهرس	58

ملخص:

لقد تحدث الكثيرون عن الشيخ محمد البشير الابراهيمي، بيد أن تركيزهم كان في الغالب على الجانب التربوي والصوفي، واهتمت دراسات أخرى بشمولية حول اعضاء ومشايخ جمعية العلماء المسلمين بفكرهم الإصلاحين وكثير منها نحى منحى الدراسات النقدية لهذا الأدب والتي لا تخرج في عمومها عن إطار الإسقاطات النقدية التي تهتم بالشكل وبالقوالب الأدبية، وهذا دون أن تتعمق في بحث المضمون واستقراء جوهر العمل الأدبي وجمالياتهن ومنها جاء هذا البحث لإماطة اللثام عن جانب جمالي في مقالات الشيخ الابراهيمي.

وخير ما نختم به قول الدكتور عبد الرزاق قسوم رئيس جمعية العلماء المسلمين حاليا في حق الشيخ الابراهيمي: "وإذن فإن ما يمكن استخلاصه في تقديمنا لكتاب (عيون البصائر) أن نستعير من الرافعي مقولته الرائعة في تقديم كتابه (وحي القلم) "إن لم يكن البحر فلا تنتظر اللؤلؤ، وإن لم يكن الكتاب البياني فلا تنتظر الأدب' ونحن نضيف غذا لم تكن عيون البصائر هي الجزائر في عمقها الحضاري، فلا تنتظر إلا جزائر الواق واق.

الكلمات المفتاحية: المقالة، الإصلاح، محمد البشير الإبراهيمي، الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر.

Résumé

Beaucoup ont parlé du cheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi, mais ils se sont principalement concentrés sur le côté éducatif et soufi, et d'autres études se sont largement concentrées sur les membres et les cheikhs de l'Association des savants musulmans avec leurs idées réformistes, et beaucoup d'entre eux ont pris la direction d'études critiques de cette littérature, qui en général ne s'écarte pas du cadre des projections critiques qui Il s'intéresse à la forme et aux gabarits littéraires, et ce sans se plonger dans la recherche du contenu et extrapoler l'essence de l'œuvre littéraire et leur esthétique, dont cette recherche est venue pour découvrir l'aspect esthétique dans les articles de Cheikh Al-Brahimi.

La meilleure chose pour conclure est la déclaration du Dr Abd Al-Razzaq Qassoum, chef de l'Association des érudits musulmans, actuellement à la droite de Cheikh Al-Brahimi: N'attendez pas les perles, et si ce n'est le livre, alors n'attendez pas la littérature. »Nous ajoutons que si les yeux des insights ne sont pas l'Algérie dans sa profondeur civilisée, alors il ne faut pas attendre que l'Algérie se protège.

Mots clés: l'article, la réforme, Mohamed Bashir Brahimi, le jeune Algérien représenté par mes pensées.